

## (050) 514 من قراءة من تفسير السعدي\الجزء(2) سورة آل عمران (61 من الآيات: 981-961) كبار العلماء

عبدالرحمن السعدي

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا. بل هذه الايات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم. ومن من الله عليهم من فضله واحسانه. وفي ضمنها تسلية الاحياء عن قتلاهم وتعزيتهم. وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة. فقال - 00:00:00 لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اي في جهاد اعداء الدين. قاصدين بذلك اعلاء كلمة الله امواتا. اي لا يخطر ببالك وحسبائك انهم ماتوا وفقدوا وذهبوا عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها. الذي يحذر من فواته من جبن عن القتال. وزهد في الشهادة - 00:00:30

بل قد حصل لهم اعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم احياء عند ربهم في دار كرامته عند ربهم يقتضي علو درجتهم قربهم من ربهم يرزقون من انواع النعيم. الذي لا يعلم وصفه الا من انعم به عليهم. ومع هذا فرحين بما - 00:00:50

اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف ولا هم يحزنون. فرحين بما اتاهم الله من فضله. اي مفتقديين بذلك. قد قرت به عيونهم فرحت به نفوسهم وذلك لحسنه وكثترته وعظمته. وكمال اللذة في الوصول اليه وعدم المنفصال.

فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق - 00:01:10

ونعيم القلب والروح بالفرح بما اتاهم من فضله. فتم لهم النعيم والسرور وجعلوا يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم. ان يبشرموا بعضهم ببعضا بوصول اخوانهم الذين لم يلحقوا بهم. وانهم سينالون ما نالوا. الا خوف عليهم ولا هم يحزنون. اي يستبشرون بزوال - 00:01:40

عنهم وعن اخوانهم المستلزم كمال السرور ان الله لا يضيع اجر المؤمنين. يستبشرون بنعمة من الله وفضل ان يهني بعضهم ببعضا. باعظم معنی به وهو نعمة ربهم وفضله واحسانه. وان الله لا يضيع اجر المؤمنين. بل ينميه ويشركه. ويزيده من فضله ما لا يصل اليه - 00:02:00

اليه سعيهم وفي هذه الايات اثبات نعيم البرزخ. وان الشهداء في اعلى مكان عند ربهم. وفيه تلاقى ارواح اهل الخير. وزيارة بعضهم ببعضا وتبشير بعضهم ببعضا. الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح - 00:02:30

للذين احسنوا منهم ما اتقوا اجرا عظيم. الذين قال لهم الناس ان الله ونعم الوكيل. لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد الى المدينة. وسمع ان ابا سفيان ومن معه من - 00:02:50

قد همروا بالرجوع الى المدينة. ندب اصحابه الى الخروج. فخرجوا على ما بهم من الجراح. استجابة لله ولرسوله. وطاعة لله ولرسوله فوصلوا الى حمراء الاسد وجاءهم من جاءهم وقال لهم ان الناس قد جمعوا لكم وهموا باستئصالكم تخويفا لهم وترهيبا فلم - 00:03:20

يزدهم ذلك الا ايمانا بالله واتکالا عليه. وقالوا حسبنا الله اي كافينا كل ما اهمنا ونعم الوكيل. المفوض اليه تدبير عباده والقائم بمصالحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء فانقلبوا - 00:03:40

بنعمة من الله وفضل لم ينسى واتبعوا رضوان الله فانقلبوا اي رجعوا بنعمة من الله وفضل قل ان لم يمسسهم سوء. وجاء الخبر المشركين ان الرسول واصحابه قد خرجنوا اليكم. وندم من تخلف منهم فالقى الله الرعب في قلوبهم - 00:04:03

استمروا راجعين الى مكة ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل. حيث من عليهم بال توفيق للخروج بهذه الحالة والاتكال على ربهم. ثم انه قد كتب لهم اجر غزارة تامة. فبسبب احسانهم بطاعة ربهم وتقواهم عن معصيته لهم اجر عظيم. وهذا فضل الله عليهم. ثم قال تعالى - 00:04:33

انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه. فلا تخافوه ثم خافوا فلا تخافوه وخافوني ان كنتم مؤمنين انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه. اي ان ترهيب من رهيب من المشركين. وقال انهم جمعوا لكم داع من دعاة - 00:04:53

الشيطان يخوف اولياءه الذين عدم ايمانهم او ضعف. فلا تخافوه وخافوني ان كنتم مؤمنين. اي فلا تخافوا المشركين اولياء الشيطان فان نواصيهم بيد الله لا يتصرفون الا بقدرها. بل خافوا الله الذي ينصر اولياء الخائفين منه. المستجيبين لدعوته. وفي هذه الآية - 00:05:23

وجوب الخوف من الله وحده وانه من لوازم الایمان فعلى قدر ايمان العبد يكون خوفه من الله والخوف المحمود ما حجز العبد عن محارمه الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا. يريد - 00:05:43

الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم. كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا حريرا على الخلق مجتها في هدایتهم. وكان يحزن اذا لم يهتدوا. قال الله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من شدة رغبتهم - 00:06:03

وحرصهم عليه انهم لن يضروا الله شيئا فاذلك ناصر دينه ومؤيد رسوله ومنفذ امره من دونهم فلا تباليهم ولا انما يضررون ويسعون في ضرر انفسهم بقوات الایمان في الدنيا وحصول العذاب الاليم في الآخرى. من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه - 00:06:23 وارادته الا يجعل لهم نصيبا في الآخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له اولياءه ومن اراد بهم خيرا. عدلا منه وحكمة بعلمه بانهم غير زاكين على الهدى. ولا قابلين للرشاد لفساد اخلاقهم وسوء قصدهم - 00:06:43

ولهم عذاب اليم. ثم اخبر ان الذين اختاروا الكفر على الامام فيه رغبة من بذل ما يحب من المال في شراء ما يحب من السلع. لن يضروا الله شيئا بل ضرر فعلهم يعود على انفسهم. ولهذا قال - 00:07:03

قال ولهم عذاب اليم. وكيف يضرون الله شيئا؟ وهم قد زهدوا اشد الزهد في الایمان. ورغبو كل الرغبة بالكفر بالرحمن. فالله غني عنهم وقد قيد لدينه من عباده الابرار الازكياء سواهم. واعد له من ارتضاه لنصرته. اهل البصائر والعقول وذوي الالباب - 00:07:23 من الرجال الفحول قال الله تعالى قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرؤن للاذقان سجد ولا يحسن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم - 00:07:43

اي ولا يظن الذين كفروا بربهم دينه وحاربوا رسوله ان تركنا اياهم في هذه الدنيا وعدم استئصالنا لهم واملاءنا لهم خير لانفسهم ومحبة منا لهم كلا ليس الامر كما زعموا. وانما ذلك لشر يريد الله بهم. وزيادة عذاب وعقوبة الى عذابهم. ولهذا قال انما - 00:08:03 انمي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين. فالله تعالى يملي للظلم حتى يزداد طغيانه ويترافق كفرانه حتى اذا اخذ اخذه اخذ عزيز مقتدر فليحذر الطالمون من الامهال. ولا يظنوا ان يفوتوا الكبير المتعال - 00:08:33

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسلي من يشاء آآ اي ما كان في حكمة الله ان يترك المؤمنين على ما انتم عليه من الاختلاط وعدم التميز. حتى يميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق - 00:08:51

صادق من الكاذب ولم يكن في حكمته ايضا ان يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده. فاقتضت حكمته الباهرة ان يبتلي عباده ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب من انواع الابتلاء والامتحان. فارسل الله رسلي وامر بطاعتهم والانقياد لهم والایمان بهم - 00:09:31

ووعدهم على الایمان والتقوى الاجر العظيم. فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين. مطيعين وعاصين ومؤمنين ومنافقين ومسلمين كافرين ليترتب على ذلك الثواب والعقاب. وليظهر عدله وفضله وحكمته لخلقه ولا يحسن الذين يبخلون بما اتهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر - 00:09:51

الله بما ت عملون خبير. اي ولا يظن الذين يدخلون اي يمنعون ما عندهم مما اتاهم الله من فضله من المال والجاه والعلم وغير ذلك مما منحهم الله واحسن اليهم به. وامرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده. فدخلوا بذلك وامسکوه - 00:10:18

وظنوا به على عباد الله وظنوا انه خير لهم. بل هو شر لهم في دينهم ودنياهم. وعاجلهم واجلهم. سيطرون ما بخلوا به يوم القيمة ان يجعلوا ما بخلوا به طوقا في اعناقهم. يذنبون به كما ورد في الحديث الصحيح. ان البخيل يمثل له ماله يوم القيمة شجاعا -

00:10:48

اقرع له زبيتان يأخذ بلهزمتيه يقول انا مالك انا كنزة. وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداق ذلك هذه الاية فهؤلاء حسبوا ان بخلهم نافعهم ومجد عليهم فانقلب عليهم الامر وصار من اعظم مضارهم وسبب عقابهم - 00:11:08

ولله ميراث السماوات والارض. اي هو تعالى مالك الملك. وترد جميع الامالك الى مالكها. وينقلب العباد من الدنيا ما معهم درهم ولا دينار ولا غير ذلك من المال. قال الله تعالى انا نحن نزت الارض ومن عليها واليابا يرجعون. وتأمل كيف ذكر السبب الابتدائي -

00:11:28

والسبب الغائي الموجب كل واحد منها لا يدخل العبد بما اعطاه الله. اخبر اولا ان الذي عنده في يده فضل من الله ونعمته. ليس بل لولا فضل الله عليه واحسانه لم يصل اليه منه شيء. فمنعه لذلك منع لفضل الله واحسانه. ولأن احسانه موجب للحسان الى -

00:11:48

يا عبدي كما قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك. فمن تحقق ان ما بيده فضل من الله لم يمنع الفضل الذي لا يضره بل ينفع في قلبه وماله وزيادة ايمانه وحفظه من الافات. ثم ذكر ثانيا ان هذا الذي بيد العباد كلها ترجع الى الله ويرث - 00:12:08

تعالى وهو خير الوارثين. فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك. منتقل الى غيرك. ثم ذكر ثالثا السبب الجزاوي. فقال والله بما ت عملون خبير. فإذا كان خبيرا باعمالكم جميعها. ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على الخيرات والعقوبات على الشر. لم يتختلف من - 00:12:28 به مثقال ذرة من ايمان عن الانفاق الذي يجزى به الثواب. ولا يرضى بالامساك الذي به العقاب لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا - 00:12:48

وعذاب الحريق. يخبر تعالى عن قول هؤلاء المتمردين الذين قالوا اقبح المقالة واشنعوا واسمجها. فاخبر انه قد سمع ما قالوا وانه سيكتبه ويحفظه. مع افعالهم الشنيعة. وهو قتلهم الانبياء الناصحين. وانه سيعقابهم على ذلك اشد العقوبة - 00:13:15

وانه يقال لهم بدل قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء. ذوقوا عذاب الحريق. المحرق الناذف من البدن الى الافندة. وان عذابهم ليس ظلما من الله لهم فانه ليس بظلم للعبد فانه منزه عن ذلك - 00:13:35

ان الله ليس بظلم للعبد. وانما ذلك بما قدمت ايديهم من المخازي والقبائح. التي اوجبت استحقاق اهم العذاب وحرمانهم الثواب. وقد ذكر المفسرون ان هذه الاية نزلت في قوم من اليهود تكلموا بذلك وذكروا منهم فانحاص بن - 00:13:55

عاذورا من رؤساء علماء اليهود في المدينة وانه لما سمع قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا واقرضا الله قرضا حسنا قال على وجه التكبر والتجريح هذه المقالة قبحه الله. فذكرها الله عنهم. واخبر انه ليس بداع من شنائعهم. بل قد سبق لهم من الشنائع ما هو - 00:14:15

نظير ذلك وهو قتلهم الانبياء بغير حق. هذا القيد يراد به انهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعته. لا جهلا وضلالا بل تمروا وعندما تأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسول من قبل - 00:14:35

يخبر تعالى عن حال هؤلاء المفترين القائلين ان الله عهد اليها اي تقدم اليها واوصى الا نؤمن لرسول حتى يأتيانا تأكله النار فجمعوا بين الكذب على الله وحصر اية الرسل بما قالوه من هذا الافك المبين. وانهم ان لم يؤمنوا برسول لم يأتهم بقربان - 00:15:05

تأكله النار فهم في ذلك مطعون لربهم ملتزمون عهده. وقد علم ان كل رسول يرسله الله يؤيده من الآيات والبراهين. ما على اهله امن البشر ولم يقتصرها على ما قالوه. ومع هذا فقد قالوا افك لم يلتزموا وباطلا لم يعملا به. وهذا امر الله رسوله ان يقول لهم -

00:15:35

قل قد جاءكم رسول من قبلني بالبيانات الدلالات على صدقهم. وبالذى قلتم بان اتاكم بقريان تأكله النار. فلما قتلتمنوهم ان كنتم اي في دعواهم الایمان برسول يأتي بقريان تأكله النار. فقد تبين بهذا كذبهم وعنادهم وتناقضهم. ثم صلى رسول - 00:15:55

رسوله صلى الله عليه وسلم فقال فان كذبوك فقد كذب رسول من قبلك. اي هذه عادة اليمين ودأبهم الكفر بالله وتكذيب رسول الله وليس تكذيبهم لرسول الله عن قصور ما اتوا به. او عدم تبيين حجة بل قد جاءوا - 00:16:15

بالبيانات اي الحجج العقلية والبراهين النقلية والزير اي الكتب المزورة المنزلة من السماء التي لا يمكن ان يأتي بها غير الرسل والكتاب المنير للحكم الشرعية. وبيان ما اشتملت عليه من المحاسن العقلية. ومنير ايضا للاخبار الصادقة. فاذا كان هذا عادتهم في - 00:16:48

عدم الایمان بالرسل الذين هذا وصفهم فلا يحزنك امرهم ولا يهمنك شأنهم. ثم قال تعالى وانما توفون اجركم يوم القيمة من زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز. وما الحياة الدنيا - 00:17:08

هذه الاية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها. وانها متع الغرور تفتئن بزخرفها وتخدع بغرورها وتغير بمحاسنها. ثم هي منتقلة ومنتقل عنها الى دار القرار التي توفي فيها النفوس - 00:17:38

ثم عملت في هذه الدار من خير وشر. فمن زحزح اي اخرج عن النار وادخل الجنة فقد فاز. اي حصل له الفوز العظيم من العذاب الاليم والوصول الى جنات النعيم التي فيها ملائين رأت ولا اذن سمعت ولا خطط على قلب بشر ومفهوم الاية ان من لم يزح - 00:17:58

عن النار ويدخل الجنة فانه لم يفز. بل قد شقي الشقاء الابدي وابتلي بالعذاب السرمدي. وفي هذه الاية اشارة لطيفة الى نعيم البرزخ وعدابه وان العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه. ويقدم لهم انموذج مما اسلفوه. يفهم هذا من قوله وانما توفون - 00:18:18

اجركم يوم القيمة اي توفيق الاعمال التامة انما يكون يوم القيمة. واما ما دون ذلك فيكون قبل ذلك في الدنيا قوله تعالى ولنديقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر - 00:18:38

لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اتوا الكتاب من يخبر تعالى ويحاطب المؤمنين انهم سيبتلون في اموالهم من النفقات الواجبة المستحبة ومن التعريض للتلافها في سبيل الله وفي انفسهم من التكليف باعباء التكاليف الثقيلة على كثير من الناس كالجهاد في سبيل الله - 00:18:53

تعرضي فيه للتعب والقتل والقتل والاسر والجرح. وكالامراض التي تصيبه في نفسه او في من يحب. ولا تسمعن من الذين اتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن فيكم وفي دينكم وكتابكم ورسولكم. وفي اخباره لعباده المؤمنين بذلك عدة فوائد - 00:19:33

منها ان حكمته تعالى تقتضي ذلك ليتميز المؤمن الصادق من غيره. ومنها انه تعالى يقدر عليهم هذه الامور. لما تريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم ويکفر من سيئاتهم وليزداد بذلك ايمانهم ويتم به ايقانهم فانه اذا اخبرهم بذلك - 00:19:53

ووقع كما اخبر قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله. وصدق الله ورسوله. وما زادهم الا ايمانا وتسليما. ومنها انه اخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك. والصبر عليه اذا وقع. لانهم قد استعدوا لوقوعه فيهون عليهم حمله. وتحف عليهم - 00:20:13

ويلجاؤن الى الصبر والتقوى. ولهذا قال وان تصبروا وتنتفعوا اي ان تصبروا على ما نالكم في اموالكم وانفسكم من الابلاء والامتحان وعلى اذية الظالمين. وتتقوا الله في ذلك الصبر. بان تنووا به وجه الله والتقرب اليه. ولم تتعدوا في صبركم الحد الشرعي من - 00:20:33

في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال. بل وظيفتكم فيه الانتقام من اعداء الله. فان ذلك من عزم الامور. اي من الامور التي يعزز عليها وينافس فيها ولا يوفق لها الا اهل العزائم والهمم العالية. كما قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا وما - 00:20:53

طه الا ذو حظ عظيم ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون. الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد. وهذا الميثاق اخذه الله تعالى على كل من اعطاه الله الكتب. وعلمه العلم - 00:21:13

ان يبين للناس ما يحتاجون اليه مما علمه الله ولا يكتنفهم ذلك ويبخل عليهم به. خصوصا اذا سأله او وقع ما يوجب ذلك. فان كل من له علم يجب عليه في تلك الحال ان يبيئنه. ويوضح الحق من الباطل. فاما الموفقون فقاموا بهذا اتم القيام. وعلموا الناس مما علمهم الله - 00:21:43

ابتغاء مرضات ربهم وشفقة على الخلق وخوفا من اثم الكتمان. واما الذين اتوا الكتاب من اليهود والنصارى وما شابههم. فنبذوا فيه العهود والمواثيق وراء ظهورهم. فلم يعأوا بها فكتموا الحق واظهروا الباطل تجرا على محارم الله. وتهاونا بحقوق الله وحقوق - 00:22:03

خلق واشتروا بذلك الكتمان ثمن قليلا. وهو ما يحصل لهم ان حصل من بعض الرياسات والاموال الحقيقة من سفلتهم المتبعين اهواهم المقدمين شهواتهم على الحق فبئس ما يشترون لانه اخس العوظ. والذي رغبوا عنه وهو بيان الحق الذي فيه السعادة الابدية - 00:22:23

والصالح الدينية والدنيوية اعظم المطالب واجلها. فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويترکوا العالى النفيس. الا لسوء حظهم وھوانهم انهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له. ثم قال تعالى لا تحسن الذين يفرحون بما اتوا ویحبون ان - 00:22:43

يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسنهم بمفارزة من العذاب لا تحسن الذين يفرحون بما اتوك اي من القبائح والباطل القولي والفعلي. ویحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اي بالخير الذي لم يفعلوه والحق الذي لم يقولوه فجمعوا بين فعل الشر وقوله والفرح بذلك ومحبة ان يحمدوا على فعل الخير الذي ما فعلوه - 00:23:03

فلا تحسنهم بمفارزة من العذاب. اي بمحل نجوة منه وسلامة. بل قد استحقوه وسيصيرون اليه. ولهذا قال ولهم عذاب اليم ويدخل في هذه الاية الكريمة اهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم ولم ينقادوا للرسول وزعموا انهم هم المحققون في حاله - 00:23:33

ومقالهم وكذلك كل من ابتعد بدعة قولية او فعلية وفرح بها ودعا اليها وزعم انه محق وغيره مبطل كما هو الواقع من اهل البدع. ودللت الاية بمفهومها على ان من احب ان يحمد ويثنى عليه بما فعله. من الخير واتباع الحق. اذا لم يكن قصده - 00:23:53

ذلك الرياء والسمعة انه غير مذموم. بل هذا من الامور المطلوبة التي اخبر الله انه يجزي بها المحسنين له الاعمال والاقوال. وانه جاز

يا خواص خلقه وسألوها منه. كما قال ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين. وقال سلام على نوح في العالمين -

00:24:13

انا كذلك نجزي المحسنين. وقد قال عباد الرحمن واجعلنا للمتقين اماما. وهي من نعم البار على عبده. ومنته التي تحتاج الى الشكر والله ملك السماوات والارض والله على كل شيء قادر. اي هو المالك للسموات والارض - 00:24:33

ما فيهما من سائر اصناف الخلق المتصرف فيهم بكمال القدرة وبديع الصنعة فلا يمتنع عليه منهم احد ولا يعجزه احد - 00:24:54